الشاعر الراحل د. عبدالرحمن بارود

محمد حسين منصور - فلسطين

ولد الشاعر الدكتور عبد الرحمن أحمد جبريل بارود عام ١٩٣٧، في قرية من قرى غزّة تسمى (بيت دراس) وهي إحدى قرى اللواء الجنوبي لفلسطين، تميزت بكثرة المجاهدين ووفرة الشهداء الذين روّوا ترابها بزكي دمائهم.

في ١٩٤٨/٣/١٦ خاضت القرية معركة ضد الصهاينة تمكّن فيها أهل بيت دراس من صدّ العدو وردّه خائباً، وتكررت هذه البطولة في شهر أيار/مايو من العام نفسه مع فارق غير يسيط، إذ عاد الجيش يجز معه مئتين وأربعين قتيلاً صهيونياً، ثم شهدت هذه القرية في ١٩٨٤/٥/٢١ معركة سطّر فيها أهل بيت دراس سفرا خالداً في ذاكرة الوطن، وقدّموا خلال هذه المعركة التي تحوّلت إلى مذبحة أكثر من مئتين وستين شهيداً.

على إثر المذبحة المروّعة هاجرت أسرة شاعرنا من بيت دراس إلى معسكر جباليا للاجئين الفلسطينيين في شمال قطاع غزّة، وكان عبد الرحمن طفلاً في الحادية عشرة من عمره.

دخل عبد الرحمن بارود مرحلة جهادية طويلة ومشرّفة، في التحصيل العلمي، فقد تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة بيت دراس الابتدائية، وأكمل بعد تشريده منها في مدرسة الإمام الشافعي، ثمّ في مدرسة فلسطين الثانوية، وكان في كل المراحل الدراسية من أوائل الطلبة، ثمّ درّس في مدارس الأونروا عدّة شهور، وذهب بعدها إلى مصر ليكمل دراسته الجامعية في جامعة القاهرة – كليّة الآداب بمنحة من وكالة الغوث الدوليّة، وحصل على درجة (البكالوريوس) في الأدب العربي بتقدير جيّد جداً مع مرتبة الشرف عام ١٩٥٩، وبصفته أفضل طالب شرقيّ في جامعة القاهرة بدأ شاعرنا بمنحة من الجامعة لدراسة الماجستير، وحصل عليها بتقدير ممتاز مع درجة الشرف الأولى في أواخر عام ١٩٦٢، ثمّ بدأ بعد ذلك دراسة الدكتوراه في الأدب العربي وحصل عليها بتقدير ممتاز ومع درجة الشرف الأولى أيضاً عام ١٩٧٢، ثمّ تعاقد للعمل في جامعة الملك عبد العزيز في مدينة جدّة السعودية، وكان ذلك في العام نفسه الذي حصل فيه على شهادة الدكتوراه، وبقي فيها إلى أن تقاعد عام ٢٠٠٢.

وحصل د. بارود على عضوية رابطة الأدب الإسلامي في ١٤٠٧/١٠/١٣هـ، الموافق ١٩٨٧/٦/١١م.

كان شاعرنا - رحمه الله - جليلاً وقوراً، كريم الخلق، رفيع الذوق، طيّب المعشر، لا يملّ الإنسان حديثه، وإن حدّثته أنت فلن تجد منه إلا حرصاً جمّاً على الاستماع إليك، ولن تلمس إلا اهتماماً بالغاً بكل كلمة تقولها، يكرم ضيفه -ولا عجب في ذلك- فأبوه الشيخ أحمد جبريل بارود كان معروفاً بكرمه، فعلى قلّة ذات يده كان لا يدخل بيته للأكل إلا مصطحباً معه أحد فقراء القرية ليطعمه مما أطعمه الله، وشاعرنا كأبيه يعظم وفادة الضيف، ولذلك صار بيته في جدّة معلماً ومقصداً لكلّ طالب خير وفضل من الفلسطينيين والعرب والمسلمين.

نماذج من شعره:

لن نستطيع مهما أطلنا هنا أن نقدم إلا نزراً يسيراً جدّاً من فيض عطائه الغزير، فبارود شاعر فحل مكثر، وجلّ قصائده من المطوّلات، ولكنها ليست كأيّ مطوّلات، فكلما طالت القصيدة عند بارود تألقت وشدّتك إليها أكثر، وأدخلتك في جوّها النفسي.

تأثر الشاعر بارود بقضايا الأمة وعلى رأسها قضية فلسطين التي أعطاها الكثير، وآمن بأن الطريق الوحيد لاستعادة الوطن السليب لا يكون إلا بالعودة إلى الإسلام العظيم، وأعلن بارود تمسّكه بهذا الدين، وظهر ذلك في شعره جليّاً، واستمرّ على درب ذات شوكة فلاقى ما لاقاه من الآلام والعذاب ومصادرة الحريّة، واستنكر على اللاهثين وراء أكذوبة صهيونية أمريكية يقال لها زوراً (السلام):

يا حمام السلام! عُد يا حمام
لا يُقبّل الحسام إلا الحسام
في زمان الصقور صرتم حماماً!!
كيف يحيا مع الصقور حمام؟
أي - ؟! - نرقون ماذا؟
ولماذا يطيل الاعتلام؟
شككتْ أمكم.. أليس لديكم
غير (عاش السلام) (يحيا السلام)؟!

سار عبد الرحمن بارود بقلمه مع الانتفاضة المباركة التي اشتعلت واشتدّ عودها يوماً بعد يوم، حتّى صارت أملاً لكل فلسطيني حرّ، بل لكل حرّ في هذا العالم، وأنهت انتفاضتنا عامها الأول وتعاظمت معها الآمال، وازداد التلهف في نفوس المخلصين الطامحة إلى فجر جديد تشرق فيه شمسنا التي طال غيابها:

عام مضى والتحدي في بدايته
والانتفاضة نار الله تلتهب

شعبي إلى أن يفرّ الليل محترقاً
ويقبل الفجر في أعقابه ينبُ
شعبي لظى.. ودعي من يرطنون لنا
فصرعة العصر أن يستعجم العربُ

نادى شاعرنا بأعلى صوته، وأطلق صيحاته المدوّية علّها توقظ نفوس أولي الأمر منّا وعقولهم وقلوبهم، واستنكر عليهم بقاء السلاح في مخازن ليأكله الصدأ

والهوان، فالقدس قدس العرب والمسلمين، والنصر الذي سيتحقق هو نصر لكل العرب والمسلمين. فهل يعقل أن تسكت فاذفات العرب وأسلحتهم في وقت تكلم فيه الحجر الفلسطيني فأبان وأفصح.. وأفهم وأفحم؟!!

بَيْنَ المُحيطَيْنِ لي أهلٌ ذوو عددٍ
وجيرةٌ عربٌ لا يسمعون قِرى
سمعتُ صوتَ سلاحٍ في مخازنكم
يبكي على طُوَالِ الليلِ مُعْتَذِرا
خمسون دبابةً في الحيِّ تقصفُنا
كم فهتفتْ إذ رمينا نحوها الحجرا!
لو كنتُ أحملُ صاروخاً على كتفي
أو (أربجيها) كفاني وجهها القدرا
ما للحدودِ حوالينا مُغلقةً
لم نستطعْ معها وِرْداً ولا صَدَرا
أطلقْ يدي وفكَّ الحبلَ عن عُنُقي
وافتحْ لي البابَ وانظرْ بعدُ كيف ترى
لو تجعلُ السدَّ يا مولايَ طوعَ يدي
ألفيتَ مليونَ ثائرونَ قد اندحرا

أما الشهداء الأحياء الأبرار فقد شكلوا مادة رئيسة في أعمال بارود، غنّى الشهادة وتغنّى بها، وكتب للاستشهاديين حروفاً خالدة تشعّ صدقاً وعشقاً.

ومن منّا لا يحفظ الأبيات المؤثرة التي قالها الدكتور عبد الرحمن بارود في رثاء الاستشهادي البطل سعيد الحوتري، وهي أبيات ثائرة أوقدها سعيد الحوتري في نفس شاعرنا فانسابت قصيداً ألهبت قلوب السامعين، وباشرت قلوبهم بخطاب شعري مؤثر أبدع بارود في إيراده مختاراً أقوى الألفاظ لأروع معاني الجهاد والثورة النابعة من تعاليم ديننا الحنيف:

لا أستقيلُ ولا أقيلُ.. أقول ما قال الأسودْ
عنّا الجبانُ لعزّتِ العالي.. ومجدكَ الوجودْ
أنا في كنانةِ سيدِ الثقلين صاروخٌ جديدْ
وعلى الزنادِ أصابعي فإذا انطلقتُ فلا أعودْ

لا ينقصُ الأجلُ المسطّرُ في الكتابِ ولا يزيدْ
أنا من بني القسّامِ إنْ ماد الجبالُ فلا أميدْ

رثى بارودُ شيخَ شهداء فلسطين أحمد ياسين، وتجلّى رثاؤه في قصيدة ضمّت أكثر من خمسة وثمانين بيتاً، في كلّ بيت منها قنبلة يفجّرها شاعرنا في وجوه الصهاينة الذين اغتالوا شيخاً قعيداً قارب السبعين من عمره، وكل بيت أيضاً كان نهراً من البرد والسلام والبشرى على صدور قوم عشقوا الجهاد وبايعوا وباعوا أنفسهم لله جلّ في علاه:

أزفَ الرحيلَ أخا الوغى فترجّلِ
واصعدْ إلى قممِ الرعيلِ الأوّلِ
عبدُ العزيزِ أخوكَ حرابُ العدا
مشدودةٌ أنسٌ وهضبةُ من جندلِ
قسّامُنا، فينا يُرى، وصلاحُنا..
والشيخُ فرحانُ، وليثُ القسطلِ
دُرِيّةٌ.. دُرِيّةٌ.. بدريّةٌ
يحلو لها في الله طعمُ الحنظلِ

وصدرت بعض أشعاره في ديوان بعنوان غريب الديار، ولعل أعماله الشعرية تصدر في ديوان جديد.

وكانت وفاته في ٣/٥/١٤٣١هـ الموافق ١٧/٤/٢٠١٠م.

رحم الله شاعر فلسطين الدكتور ...

وتقبله في موكب الخالدين ■